RES MILITARIS

REVUE EUROPÉENNE D'ÉTUDES MILITAIRES EUROPEAN JOURNAL OF MILITARY STUDIES

Date: 30th October.2022

Ref.:RM_00102A

Letter of Acceptance

Dear Author (s)

[1]Dr Kareem M. Al- Masaudi,[2] **Abdul- Hasan Sh. Ahmed**

[1,2] **University of Al-Qadisiyah College of literature Department of Arabic Language**

It's my pleasure to inform you that, after the peer review, your paper: "The mythological significance to the symbol of the river in modern Iraqi poetry(1950- 2000)" has been ACCEPTED to publish with Res Militaris "ISSN 2265- 6294".

The journal is publishing original research articles and reviews including wide-ranging issues on Social Sciences (miscellaneous); Safety Research; Political Science and International Relations; Sociology and Political Science. The article will be published in an upcoming issue of the journal.

ACCEPTED	~~REVISIONS REQUIRED~~	~~REJECTED~~

Please do not hesitate to contact me if you have any further questions.

Sincerely,

Editor Manager
Editor@resmilitaris.net

https://resmilitaris.net/
https://www.scopus.com/sourceid/21100908447

البعد الاسطوري في قصيدة النهر في الشعر العراقي الحديث ١٩٥٠ – ٢٠٠٠م

أ.م.د : كريم مهدي المسعودي **م.م : عبدالحسن شهيب أحمد**

المقدمة

ـــــــــــــ تعد العوالم الاسطورية مجالا واسعا لتشكيل فضاءات نصية رحبة تشتغل فيها الرموز الشعرية بكل طاقاتها الايحائية والدلالية ،سواء أكانت تلك الرموز منتمية بعمقها الدلالي لمدونات الاساطير الأولى التابعة لميثولوجيا الشعوب على إختلافها ، أو انها رموز مبتكرة طبيعية أو تاريخية يمنحها الشاعر بأدواته الشعرية ثوبا أسطوريا ، إلى جانب محاولات الشاعر العراقي الحديث الفنية أسطرة الواقع الحياتي نصيًا ، وخلق عالم مواز بتلك الابعاد الرمزية عالم يفارق البواقع الحقيقي إلى عالم الأسطورة المتخيل .

الملخص

ـــــــــــــ أهلت موجة الحداثة من جهة ، وإنفتاح الشاعر العراقي الحديث على مصادر المعرفة المتنوعة فكريا وثقافيا أن يمتاح من عالم الاساطير ليغني نصه الابداعي متوخيا لتحقيق ذلك معالجة جديدة وتفاعلا أكثر تعمقا من مجرد أن تكون قصيدته مدونة سردية موثقة لتلك الاساطير وحافظة لها ، وسيتركز هذا البحث على تلمس الابعاد الاسطورية في النصوص النهرية وبيان التداخل بين النهر بتجلياته والبنى الاسطورية وعناصرها في النص ، إلى جانب التركيز على محاولات بعض الشعراء تحويل الرموز النهرية الى رموز اسطورية تكون هي المرتكز الدلالي للنص ، ولعل هذا الملمح من الانساق الشعرية مع فرادته الابداعية إلا إنه الاقل ورودا عتد شعراء قصيدة النهر العراقية الحديثة .

في مفهوم الاسطورة

مثلما يحمل النهر سمات متأصلة و لا سيما في الاستمرار والتجدد والانبعاث، فكذلك هي الاسطورة تحمل في مضمونها الرمزي خاصية التجدد والديمومة والقدرة على التعبير عن احوال النفس الانسانية المتغيرة مع تغير ألوان الحياة.

يمكننا ان نعد النماذج الشعرية المجسدة لهذا البعد من خلال توظيف النهر شعريا اغنى اساليب استثمار الابعاد ذات الغنى الدلالي للنهر وتجلياته، لاسيما في بعدها الرمزي والرؤيوي الايحائي؛ فبتوظيف الاسطورة في الشعر الحديث يزداد العنصر الرمزي في البنية الشعرية ثراء وعمقا ويتحقق الاغتناء الاخصب للمتلقي؛ فالأسطورة بمعنى من معانيها اداة نابضة بالحياة يستعملها الفنان من اجل تعميق الدلالات وربط الاشتراكات العميقة بين الماضي والحاضر في مدى المستقبل(١).

تعد الأسطورة من مظاهر الشعرية في القصيدة العربية المعاصرة، إذ إنها تشكل نظاما خاصا داخل بنية الخطاب الشعري العربي المعاصر، فهي توأم الشعر ، فعودة الشعر اليها انما هو حنين الشعر لتراب طفولته ، والاسطورة اذا تحتضنها القصيدة فلكي تتحول في بنيتها طاقة خالقة

للأداء الشعري ، إذ يتمثل فيها التراث الشعبي والعقل الجمعي بصورة عضوية تؤطر موقف وقيم الانسان تجاه الكون وتجاه تساؤلاته المتعددة والانسان بالمعنى العام امتداد في الزمن الذاهب والاتي مضافا اليه ـ بالضرورة ـ حاضر ايضا[٢] ، الا انه من الجدير بالذكر صعوبة تصنيف اي من النصوص في خانة الاسطورة دون الوقوف اولاً عند معنى الاسطورة وحدها المتواضع عليه عند اهل هذا المجال المعرفي .

من المتعارف عليه ان الاسطورة تتعلق بقصة تتمحور في نواتها حول المقدس الغيبي او الركن المتعلق بالآلهة ، وبذلك تفارق الحكاية الشعبية واقاصيص الشعوب[٣] . و لعله لا يمكننا ان نستبعد حضور هذا المفهوم المعرفي العام للأسطورة في ذهن الشاعر على الرغم من اختلاف صورتها وتوظيفها في المحاولات الشعرية ، وذلك سنراه بارزا في النصوص الموصوفة بتمثلها للاتجاه الاسطوري– ومن ضمنها النصوص النهرية– اذ نجدها غالبا ما تتمحور حول ايقونة او اشارة الهية تقديسية ، الا ان مساحة عناصر دائرتها الانموذجية تتسع لتشمل كل الحكايات التقليدية التي تلعب الكائنات الماورائية أدوارها الرئيسة[٤].

وقد أهلت موجة الحداثة وانفتاح الشاعر العراقي الحديث على مصادر المعرفة المتنوعة فكريا وثقافيا ان يمتاح من عالم الاساطير ليغني نصه الابداعي ، متوخياً لتحقيق ذلك معالجةً جديدةً وتفاعلاً أكثر تعمقاً من مجرد ان تكون قصيدته مدونة سردية موثقة لتلك الاساطير وحافظة لها ، وسيتركز هذا المبحث على تلمس الابعاد الاسطورية في النصوص النهرية وبيان التداخل بين النهر بتجلياته والبنى والعناصر الاسطورية في النص ، الى جانب التركيز على محاولات بعض الشعراء في تحويل الرموز النهرية الى رموز اسطورية تكون هي المرتكز الدلالي للنص ، ولعل هذا الملح من الانساق الشعرية مع فرادته الابداعية هو الاقل ورودا عند شعراء قصيدة النهر العراقية الحديثة ، وتظهر ببراعة في النسج والابعاد المضمونية عند بدر شاكر السياب.

الاسطورة النهرية

ان اتصال الاسطورة بالنهر ارتبطت بالأفكار البدائية للإنسان حول القوى الخفية الكامنة في الظواهر الطبيعية، وكيف كان ينظر ذلك الانسان- في مراحل وعيه الاولى بما حوله- لتلك الظواهر والقوى.

وقبل التطرق لنماذج الشعر النهري الحديث في نسق الابعاد الرمزية المستوحاة من العمق الاسطوري للنهر بتجلياته الحياتية والكونية الطبيعية، من المهم الاشارة الى رصد ظاهرة (استعمال اسلوب الاستفهام) في النصوص النهرية التي يغلب عليها تناول ذلك الطابع الاسطوري والغيبي؛ فكأن هذا الاسلوب جاء ليعكس حتمية توقف نبوءة الشاعر عند نقطة ما في البعد الميتافيزيقي للموضوعات المنتمية لهذا العالم الغرائبي مثل الخلود والموت والمصير، او ان الشعراء ارادوا من وراء اثارة التساؤلات منح نصوصهم انفتاحاً على التأويلات المختلفة لمتلقي نصوصهم ، تقول نازك الملائكة في قصيدتها (النهر العاشق) في المقطع الذي اختارته ختاما لقصيدتها:

انهُ الان اله

او لم تغسل مبانينا عليه قدميها

انه يعلو ويلقي كنزه بين يديها

انه يمنحنا الطين وموتا لا نراه

من لنا الان سواه؟ .....[٥].

وهذا المقطع يكشف من جهة عن فاعلية النهر الواقعية الملموسة اذ نظمتها الشاعرة خلال الفيضان الرهيب عام ١٩٥٤[٦]. الا انها– من جهة اخرى- تسند إليه صفات الالهة من القوة والتحكم بالإماتة والاحياء وهي تستحضر طقوس التقرب لتلك الالهة، وهي قد ابدعت في تجسيد افكار الشعب العراقي (القديمة) لاسيما عند ابناء الريف منه (في منطقة تعد مركز الحضارات الانسانية الاولى) في أفكارهم وتصوراتهم حول القوة النهرية في زمن النص والازمنة السابقة.

ومن المهم الاشارة الى اهمية اسلوب الاستفهام مع هذا النص ذي البعد الاسطوري وما شاكله؛ فهو يكشف عن حيرة الانسان تجاه ظاهرة غضب الطبيعة المتجسد بفيضان النهر، تلك الحيرة المحفزة لإعمال عقله واستثمار طاقاته للسيطرة على قوى الطبيعة.

وهذا البعد الاسطوري الذي يشرك المتلقي من خلال التساؤلات التي يبثها الشاعر نجده في مطولة (يا ترى) المقطعية لمحمد صيهود ، اذ يقول فيها:

يا ترى

ماذا وراء النهر

لو ظلت خطاه

هل هو العمق الذي

يعطي الى السطح هواه

ام هو البشر الذي

اهداه للنهر الاله؟ .....[٧].

وهذه الصورة الرمزية ببعدها الاسطوري ترتكز متخفية في العبارة المأثورة (وراء النهر) التي تتجاوز دلاليا مضمونها المكاني الى بعد غيبي؛ فدلالة العبور والوصول واكتشاف (الما وراء الظني) المقترن بالنهر او مجرد التساؤل عنه يعد من نوافذ الاستعمال الرمزي الواسعة للنهر؛ لإثارة تساؤلات وتأويلات المتلقي للنص .

اما كزار حنتوش فيتعامل اشاريا - عن بعد - مع الاتجاه الأسطوري ليودع نصه معاني رمزية عميقة يستحضرها باستدعاء الزمن الاسطوري وتخيل الظرفية الوجودية المبكرة عند بدء الخليقة، وتلقي الاوامر الالهية الاولى تبين بصورتها الكلية المتشعبة ، وبأسلوب الاستفهام المجازي احتجاجه على القدر الوجودي القاضي منذ القدم على ابناء جلدته بعدم الانتفاع من ثروات هذا البلد وخيراته المتمثلة في أجلى صورها بأنهاره الخالدة:

ايها الفرات

عندما امرك الله بالتوجه جنوبا

لماذا لم تتعطف ولو بالنظر

الى خيام اهلي المتناثرة

كزبيب

في كوب حليب .....[٨].

وهذا المقطع النصي قد يوهم المتلقي للوهلة الاولى بانه نص ساخر يعتمد فيه الشاعر عنصر المفارقة التصويرية فحسب، الا ان متأمله من زاوية اخرى يجد الملمح الاسطوري منسربا فيه يتضمنه القاسم المشترك في اغلب النصوص الاسطورية وهو الاشارة الى بدايات الخليقة وظهور الكون بإنسانه وموجوداته الاخرى، فالشاعر يخاطب الفرات وهو محمل بإرث ضخم من المدونات المكرسة لتأكيد منزلة هذا النهر الغيبية، لذا فلعل الشاعر اراد بمفارقته في نهاية المقطع ان يشير رمزيا إلى التفاوت بين منزلة نهر الفرات خاصة والعراق عامة، كونيا وتاريخيا وحال اهله وبني جلدته القاطنين ذلك البلد على ضفاف انهاره ، وبدلالة العتبة العنوانية للنص (بانوراما النهر) المشعرة بتضمنه لصور شتى قديمة تاريخية وحديثة تتعلق بالذات الشاعرة وبالجماعة، يمكننا ان نلمح استدعاء النص بواسطة دواله الشعرية (الفرات، الخيام) لشخصية الحسين بن علي (عليه السلام) وارتدائه لصوته قناعا ليطلق احتجاجاته.

ويظل استدعاء الاشارات التراثية القديمة الاسطورية سبيل الشاعر في ادخال المتلقي لنصه من بوابة العالم الاسطوري فيمنح ذلك بناءه الشعري جمالية رمزية خاصة واجواء اسطورية تعود بالمتلقي للبدايات الوجودية فكأنه بتحشيد علامات النهر الاسطورية يعيد كتابة سيرة ذاتية اخرى للنهر. الا ان هذه النصوص تبقي الاسطورة محتجزة بشكل أكبر عند الابعاد الرمزية القديمة المقترنة بأسمائها وليس بلا نهائية ابعادها التأملية الرمزية او الانسانية فلا تتواشج بأواصر أعمق مع حاضر المتلقي ، على العكس مما نجده مع الرمز الشعري المبتكر الذي يضفي عليه الشاعر بعدا اسطوريا مبتكرا وحديثا إذ نرى فيه تواشجا بحيوية مع حاضر المتلقي ، ونجد تحشيد الاشارات الاسطورية القديمة في نص شعري اخر يحاور فيه الشاعر انور خليل النهر مفيضا عليه الصفات والمزايا الخاصة بآلهة الانسان في الحضارات البشرية:

يا ايها الجبار، يا معبود عالمنا القديم

يا ايها النهر العظيم

يا حاملا خصب الربيع الى ديار العاشقين

يا واعدا بالطيبات كأنها صور النعيم

حيتك الهة الفنون بكل ما ثور مبين

ورعتك احلامي المجنحة العذاب

يا وحي احلام الشباب

اني احسك جاريا

تنساب في بالي وفي بال الليالي

اني احسك في خيالي

وضفافك العذراء وارفة الظلال

مرعى اساطير الجمال

يا نهر نهر الذكريات الجاريات بلا قرار .....[٩] .

النص يتجاذبه صوتان صوت الرمز الاسطوري محملا بالإشارات التراثية المغرقة في القدم ، وملبسا النهر صفات الالهة القديمة وصوت اخر ينتقل بالنص الى تصوير الجانب الذاتي، يحاول الشاعر من خلاله تحقق الاتحاد الوجداني بالنهر.

اما الشاعر محمد مظلوم فيأتي بقصيدة سردية مطولة تحاكي في طولها منبع ملاحم الشرق الاولى (ملحمة كلكامش) الا ان الشاعر يعيد تدوين تلك الملحمة بإخراج شعري اخر فيطلق رموزها من اسار القالب التراثي القديم ويدخلها في اثواب المعاصرة بأسلوب المفارقة التصويرية الساخرة لتعطي القصيدة معاني رمزية يستطيع المتلقي اسقاطها على الواقع المحلي والعربي المعاصر:

كلكامش لم يحظ بموته في المرآة

فخرج الى نومه حيا وبكامل حروبه

حيث سبعون انكيدو وأكثر تركهم نائمين

من اول الفرات الى شرق دجلة

..... نظارته وجواز سفره

وساعته التي تأخرت.. قليلا عن النوم

هي ما يجعلني قادرا على رثائه .....[١٠] .

النص بخلوه من الاشارات الاسطورية ما خلا ذكر رمزي الملحمة الاساسيين (كلكامش وانكيدو) ومن خلال تحشيد الدوال ذات المتعلقات المعاصرة والابتعاد عن تصوير الجانب الذاتي المتعلق بتجارب الشاعر الخاصة ، يدخل قارئ النص في أقانيم دلالية جديدة بعيدة الايحاء، فيمكن مقاربة دلالة هذا المقطع الاستهلالي من النص لبعد معاصر يتصل بقضايا الهوية العربية وموقف العربي من الاخر الغربي، فلعل الشاعر اراد بتحشيد الادوات الحياتية الغربية المحيطة

بكلكامش العصر الحديث ان يشير الى افتقار الانسان العربي اليوم الى مخترعات العالم الغربي ، اما موضع الشاهد النهري في النص (من أول الفرات الى شرق دجلة) فيشير ببعده المكاني الى ان موطن الشاعر هو محل الاسقاط الرمزي الاسطوري بمختلف القراءات الممكنة له سواء اكانت سلبية ام ايجابية ، مع ان ذاك الموطن كان المركز الحضاري الحاضن لانطلاق تلك البدايات الانسانية بعلومها ومعارفها .

فضلا عما تقدم فلا بد من الاشارة الى اهمية دور شعراء الحداثة من الرواد العراقيين في محاولتهم الجمع بين التوسع في المساحة الشعرية من جهة والعمق الدلالي والرمزي في استقطاب الابعاد الاسطورية المختلفة وتوظيفها نصوصا شعرية في الشعر العربي الحديث من جهة اخرى (فمضامين التراث العراقي القديم ومنها الاساطير لم تحظ باهتمام كاف من لدن الشعراء العراقيين قبل مرحلة الشعر الحر ؛ ولعل مرد ذلك ما فرضته الثقافة السائدة آنذاك والتي لم تتجاوز كثيرا التراث العربي الاسلامي)[١١] . والمتأمل في الشعر العراقي الحديث يجد هذا الاسلوب في استدعاء الدلالات الاسطورية في بعض النصوص لا باستحضار الرموز الاسطورية اسماء ومرويات قصصية قديمة وتراثية انما بإضفاء الابعاد الاسطورية على النص بجميع عناصره دوالا وتراكيبا وصورا.

ومن شواهد ذلك اسلوب البياتي في قصيدته (الموت في غرناطة) اذ يبدو فيه الشاعر محاولا السير على خطى السياب في صناعة نص بتجربة ذاتية تفعل لبناء عالم اسطوري، معتمدا في ذلك رمزية النهر- كينونة العراق الاولى في الوجود- نواة بنائية اولى لنصه:

من قاع نهر الموت، يا مليكتي، اصيح

من ظلمة الضريح

امد للنهر يدي، فتمسك التراب

يدي على التراب

يا عالما يحكمه الذئاب

ليس لنا فيه سوى حق عبور هذه الجسور

نأتي ونمضي حاملين الفقر للقبور

يا صرخات النور

ها أنذا محاصر مهجور

ها أنذا اموت ..... [١٢].

كعادته البياتي لا يعول كثيرا في بعض نصوصه على الاتيان بصور جمالية متفردة عمقا وروحا كفعل السياب، بل يعول على البعد الصوتي وتتابع حروف القوافي المتطابقة صوتا وايقاعا ، وهذه سمة يلحظها المتأمل بينة ظاهرة في شعره ، لذا فالمتلقي لا يحلق بفضاءات

تأويلية مع بعض نصوصه حتى ان اراد البياتي اضفاء بعدٍ اسطوري رمزي عليها بل يظل المتلقي معها حبيسا في حدود معاني النص القريبة، فهو حين يقول (امد للنهر يدي) لا يترك لخيال المتلقي فضاء تأويليا بل يلحق عبارته الشعرية بعبارة نمطية بصورة سرابية (مادية غير تخييلية) تنفي وجود النهر من الاصل (فتمسك التراب) ومن ثم يلحق العبارتين بتوكيد (يدي على التراب) ليفقد الاسطر السابقة جماليتها وتفردها.

وضمن هذه الفئة من النصوص النهرية يطالعنا نص اخر أكثر اقترابا من المنهج المتقدم عند السياب وهو (النهر تحت الارض) لمحمود البريكان ؛ فالنهر عنده- في هذا النص- له خصوصية تعبيرية بصورته وحركته الاسطورية، لذا نجد الدكتور فهد محسن فرحان يرى تحقق النسق الاسطوري في النص من جانبين:

الاول فيذهب لذلك من خلال عنوان النص اولا؛ اذ يراه يضطلع بمهمة تعيين وتحديد هوية النص الاسطورية؛ فالنهر في المعتاد يجري فوق الارض والانزياح التصويري يوشي بالطابع الخرافي لهذا ـالنهر، اما الجانب الاخر– الاكثر اهمية عنده– فهو التركيبة الاسطورية للقصيدة المرتبطة في جوهرها بروح الاسطورة بمجيئها بتركيبة بنائية عمادها افعال الجريان بصورة غير مألوفة يعززها المنهج السردي[١٣].

النهر الغامض تحت الارض

يجري بهدوء

يجري في الظلمة

لا صوت له

لا شكل له

يجري تحت الصحراء المحترقة

تحت حقول وبساتين

وتحت قرى ومدن

يجري يجري

نحو مصبات مجهولة

عبر كهوف وبحيرات وصهاريج

ينحت مجراه ببطء

ويزامن نبض الارض .....[١٤].

إن المتأمل في النص قد يرى ان الشاعر يركز على تصوير حيوية (الماء) من خلال تكرار فعل يجري بغض النظر عن تجلي الماء نهرا أو جدولا أو ينبوعا ، الا ان الانحياز الى البعد الدلالي المباشر في عتبة العنوان هو الدافع لتصوره على هيأة النهر .

وفي البعد الاسطوري المتعالق مع رؤى البدايات المبكرة للخليقة يقول كاظم الحجاج عن البصرة وانهارها جاعلا منها مركز الكون :

وأذن الرب

فجاءت الملائكة

وقال : أبصروا مدينتي !

فابصروا مدينة الرب التي تحرسها الانهار –

وعشرة من الملائكة

كما تقول جدتي –

سماهم ((العشار!))

ثانية ...

سيبدأ التكوين من مدينتي

أو ....يبدأ الطوفان ! فلتحذروا !.....[١٥].

ان حراسة الانهار لمدينة الشاعر ملمح اسطوري مستمد من رؤية الانسان الاول لدور النهر ووظيفته في الحياة ، وهذه الرؤيا ان اختلفت عند الانسان اليوم فما تزال وظيفة النهر في حراسة الحياة وادمتها قائمة .

البعد الاسطوري للنهر عند بدر شاكر السياب

لعله لم يحظ نص شعري عراقيا وعربيا بما حظى به نص (النهر والموت) للسياب من تتبع الدارسين للروح الاسطورية السارية في بنيته الشعرية، فاجبر بذاك التفرد أولئك الدارسين على الاطناب عند ابعاده الأسطورية[١٦].

هذا النص السيابي ينتمي إلى المرحلة الابداعية للشاعر التي اطلق عليها (مرحلة القصائد التموزية) الممتدة زمنيا من سنة ١٩٥٥م الى سنة ١٩٦١م التي استمدت تسميتها من كون قصائدها زخرت بالرموز الاسطورية؛ فعدت بطاقة دخول السياب الى عالم الحداثة الشعرية بجدارة[١٧] . ويمكن ان يعد هذا النص ونصوص اخرى سارت على منواله انزياحا ابداعيا في مسار التعامل الشعري مع الرمزية الاسطورية للنهر؛ فقد اتخذ السياب فيه منحى اخر في استثمار الرموز الشعرية لبناء نص اسطوري الدلالات بالكلية فهو لا يختصر تعامله الشعري مع الذاكرة الاسطورية باستجلاب الرموز الاسطورية من الماضي واقحامها في النسيج البنائي

لنصوصه انما يعتمد انشاءَ بناءٍ رمزي اسطوري الدلالة والايحاء ، مكثفٍ برمزية نافذة في وعي او لا وعي المتلقي.

لقد اعاد السياب تشكيل الاسطورة فجعلها تتكلم لغته لا لغتها الميثولوجية، محررا طاقتها التخيلية، محركا حيويتها الرمزية، فراح يستنطق بها عصره وانسان عصره، فاتحا لها ابواب التغيير[١٨].

السياب يصنع من وجود واقعي يعيشه رمزا اسطوريا يمثل بؤرة دلالية في لوحاته النصية، فنجده في قصيدته (النهر والموت) قد حول رمزه المائي الاثير (بويب) الى ثيمة اسطورية يقوم عليها نواة العالم النصي ينطلق بمتلقيه الى عوالم شعرية متخيلة مطلقة بمسار باتجاه المستقبل والمتوقع وليس الماضي[١٩].

بعد الاستهلال بمخاطبة نهر بويب تبدأ ملامح العالم الاسطوري تتمظهر في الاسطر الشعرية بتمني الشاعر لخوض رحلته المصيرية باتجاه اعماق ذلك النهر:

أود لو عدوت في الظلام

اشد قبضتي تحملان شوق عام

في كل إصبع، كأني أحمل النذور

اليك من قمح ومن زهور ..... [٢٠] .

من بعد ذلك يتوغل الشاعر بتعميق الصفات الاسطورية لذلك النهر:

أود لو أخوض فيك اتبع القمر

واسمع الحصى يصل منك في القرار

صليل الاف العصافير على الشجر

اغابة من الدموع انت ام نهر؟ .....[٢١] .

ويصل السياب لمقطع شعري ومحور نصي يتزاحم فيه البعد الاسطوري للنهر مع الهم الانساني (الذاتي) المطبق على روح الشاعر بهاجس الموت المنتظر لكل انسان والقريب توقعا عند الشاعر بسبب المرض والضعف والوهن الذي يعانيه :

وانت يا بويب ....

أود لو غرقت فيك القط المحار

أشيد منه دار

يضيء فيها خضرة المياه والشجر

ما تنضح النجوم والقمر

وأغتدي فيك مع الجزر الى البحر

فالموت عالم غريب يفتن الصغار

وبابه الخفي كان فيك ، يا بويب .....[٢٢] .

فالشاعر بدوال (الدار و الموت) يجمع بين دلالات الامان والطمأنينة والسكون و دلالات الموت الخاتمة للنص و الحاملة الصور المناقضة للصور الاولى في الرحيل والبعد والفراق ، فكأن السياب عبر هذا المقطع الشعري (يمنح النهر بعدين جديدين فهو تارة يصيره بيت الاحلام

ورحم الكائنات، وتارة باب الموت الخفي ؛ لاشتماله على البعد الصميمي الاليف والبعد الميتافيزيقي الغيبي)[٢٣].

لعل المتأمل في المقطع النهري المذكور انفا يستوقفه تخصيص اسناد الافتنان بعالم الموت للصغار، فهذا الدال يحمل معاني رمزية متعددة: فهو يرجعنا ببعده الاستذكاري الى سنين طفولة قضاها الشاعر في فضاء ذلك النهر (فكأنما الشاعر بعودته الى بويب مقترنا بذلك الاحساس الطفولي يخفف من هول الموت عليه ، أو يحد من الخوف المصاحب للذات تجاهه)[٢٤] . ومن جهة اخرى فالدال يعطي معاني العجز والتسليم امام الموت، الى جانب الاشارة الضمنية الى جهل الانسان بهذا العالم الغيبي المهول.

أما ختام النص فهو بؤرة دلالية تعطي الرؤيا النهائية لموقف الشاعر من الحياة والموت، فضلا عن استدعاء اشاري (تناصي) لرموز ومدونات تاريخية وادبية يمكن ان يجدها المتمعن، منها ما قاله السيد المسيح لحواريه في عشائه الاخير معهم عند تقديم الخبز والشراب، وهو موقف يلتقي مع بيت عروة بن الورد:

اقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد .....[٢٥].

فضلا عن معانٍ واشارات رمزية اخرى يمكن استنباطها من ختام هذا النص المكثف ، الذي يقول فيه السياب مخاطبا ذاك النهر:

أود لو عدوت أعضد المكافحين

أشد قبضتي ثم أصفع القدر

أود لو غرقت في دمي الى القرار

لأحمل العبء مع البشر

وابعث الحياة .... ان موتي انتصار!.....[٢٦].

فمن خلال مقاطع هذا النص- التي تمحورت حول نهر بويب وبنيت على محاورته وخطابه- استثمر السياب كل طاقات الحوار الداخلي لتتبلور مجسدة في صورة نهر اسطوري يود ان يغرق في قراره كي يحمل العبء مع البشر مشاركا الجماعة ما تصاب به من ضير وعنت في هذا

العـالم ليجعـل دلالاتـه معنويـة بمشـاهد حلميـة لا ينتظمهـا نـاظم او منطـق ظـاهر الا منطـق يخلقـه تعاضد جزئياتها النصية[٢٧] .

الهوامش

١. ينظر: الغموض الشعري في القصيدة العربية الجديدة: دريد يحيى الخواجة/ دار الذاكرة– حمص– سوريا/ ط١/ ١٩٩١/ ص٧٦.
٢. ينظر: لغة الشعر (قراءة في الشعر العربي الحديث) رجاء عيد/ منشأة المعارف : الاسكندرية : ص.٢٩٢
٣. ينظر : التناص الأسطوري في شعر سميح القاسم: مروى فتحي منصور، الحوار المتمدن- العدد: ٦٧٨٩- ٢٠٢١/ ١/ ١٦- ٠٢:٥٨المحور: الادب والفنhttps://www.ahewar.org .
٤. الاسطورة و المعنى – دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية – فراس السواح / دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة / دمشق / ط٢/ ٢٠٠١م / ص٨ .
٥. ديوان نازك الملائكة / مجلد ٢ / ٥٣٤ . مصدر سابق .
٦. المصدر نفسه : ص٥٣١ .
٧. مطولة يا ترى: محمد صيهود / الفردان للطباعة والنشر: ابو ظبي/ الامارات/ ١٩٨٤م/ ص٨ – ٩.
٨. الاعمال الشعرية الكاملة : كزار حنتوش : ص٣٨٨. مصدر سابق .
٩. ديوان (الربيع العظيم وقصائد اخرى) : انور خليل /وزارة الثقافة والاعلام العراقية / المؤسسة العامة للصحافة والنشر / بغداد : ١٩٦٩ / ص ٩ .
١٠. قصيدة : الموت بين نهرين : محمد مظلوم :موقع كنوز الالكتروني للشعر https://konouz.com/ar
١١. ينظر : اثر التراث في الشعر العراقي الحديث : علي حداد : دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد / ط١ / ١٩٨٦م / ص ٧٧ .
١٢. الاعمال الشعرية: عبدالوهاب البياتي/ المؤسسة العربية للدراسات و النشر – بيروت (د –ط) ١٩٩٥ م المجلد الثاني/ ص١٣٥.
١٣. ينظر: الابلاغ الشعري المحكم – قراءة في شعر محمود البريكان : د. فهد محسن فرحان / ص١٠٢ - ١٠٣ . مصدر سابق .
١٤. مجلة الاقلام/ العدد (٣-٤) ١٩٩٣/ دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد : ص٨٨
١٥. الاعمال الشعرية الكاملة : كاظم الحجاج / دار سطور للنشر والتوزيع / بغداد / ط١ / ٢٠١٧ م / ص١٨٧
١٦. ومن تلك المصادر: ينظر: حركية الابداع: د. خالدة سعيد/ دار العودة– بيروت/ ط٢/ ١٩٨٢/ ص١٤١ – ١٩٢ وينظر: الاسطورة في شعر السياب: د. عبد الرضا علي / منشورات وزارة الثقافة العراقية / بغداد / ١٩٧٨. وينظر: الاسطورة في الشعر العربي المعاصر: د. يوسف حلاوي/ دار الآداب– بيروت/ ط١/ ١٩٩٤م/ ص٦٣ – ٧١.
١٧. ينظر: الطريق الى جيكور: عبد الجبار داود البصري/ دار الشؤون الثقافية– بغداد/ ط١/ ٢٠٠٢/ ص١٥٣.
١٨. ينظر: الشعر والتاريخ بين الواقعية والابداعية في قصيدة النهر والموت للسياب – دراسة في ضوء الرؤية التاريخية – فاطمة الزهرة قيراد / رسالة ماجستير / كلية الاداب / جامعة جيلاني بو نعامة / الجزائر / ٢٠١٧م / ص١٣٠.
١٩. ينظر: الاسطورة في شعر السياب: د. عبد الرضا علي / ص ٩٧ . مصدر سابق .
٢٠. ديوان السياب :ص٤٥٤ . مصدر سابق .
٢١. ديوان السياب : ص٤٥٤ .
٢٢. المصدر نفسه : ٤٥٥ .
٢٣. ينظر: حركية الابداع: د. خالدة سعيد: / ص٤١ . مصدر سابق .
٢٤. الوطن في شعر السياب : د . كريم مهدي المسعودي : ص٧٨. مصدر سابق .
٢٥. ديوان عروة بن الورد /دراسة وشرح وتحقيق : أسماء ابو بكر محمد : منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت / ١٩٩٨ م / ص٣٦٥ .
٢٦. ديوان السياب : ص٤٥٦ . مصدر سابق .
٢٧. ينظر: الاسطورة في شعر السياب: د. عبد الرضا علي: ص٩٩. مصدر سابق.

المصادر

(١) ينظر: الغموض الشعري في القصيدة العربية الجديدة: دريد يحيى الخواجة/ دار الذاكرة– حمص– سوريا/ ط١/ ١٩٩١م .
(٢) ينظر: لغة الشعر (قراءة في الشعر العربي الحديث) رجاء عيد/ منشأة المعارف : الاسكندرية .
(٣)التناص الأسطوري في شعر سميح القاسم: مروى فتحي منصور، الحوار المتمدن- العدد: ٦٧٨٩- ٢٠٢١/ ١/ ١٦- ٠٢:٥٨المحور: الادب والفنhttps://www.ahewar.org .
(٤) الاسطورة و المعنى – دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية – فراس السواح / دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة / دمشق / ط٢/ ٢٠٠١م.
(٥) ديوان نازك الملائكة / مجلد ٢ / ٥٣٤ . مصدر سابق .
(٦)المصدر نفسه : ص٥٣١ .
(٧) مطولة يا ترى: محمد صيهود / الفردان للطباعة والنشر: ابو ظبي/ الامارات/ ١٩٨٤م.
(٨) الاعمال الشعرية الكاملة : كزار حنتوش
(٩) ديوان (الربيع العظيم وقصائد اخرى) : انور خليل /وزارة الثقافة والاعلام العراقية / المؤسسة العامة للصحافة والنشر / بغداد : ١٩٦٩ / ص ٩ .
(١٠) قصيدة : الموت بين نهرين : محمد مظلوم :موقع كنوز الالكتروني للشعر https://konouz.com/ar
(١١)ينظر : اثر التراث في الشعر العراقي الحديث : علي حداد : دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد / ط١ / ١٩٨٦م .
(١٢) الاعمال الشعرية: عبدالوهاب البياتي/ المؤسسة العربية للدراسات و النشر – بيروت (د –ط) ١٩٩٥ م المجلد الثاني .
(١٣) ينظر: الابلاغ الشعري المحكم – قراءة في شعر محمود البريكان : د. فهد محسن فرحان .
(١٤) مجلة الاقلام/ العدد (٣-٤) / دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٩٣م .
(١٥) الاعمال الشعرية الكاملة : كاظم الحجاج / دار سطور للنشر والتوزيع / بغداد / ط١ / ٢٠١٧ م .
(١٦) حركية الابداع: د. خالدة سعيد/ دار العودة– بيروت/ ط٢/ ١٩٨٢م.
(١٧) الاسطورة في شعر السياب: د. عبد الرضا علي / منشورات وزارة الثقافة العراقية / بغداد / ١٩٧٨.
(١٨) الاسطورة في الشعر العربي المعاصر: د. يوسف حلاوي/ دار الآداب– بيروت/ ط١/ ١٩٩٤م/ ص٦٣ – ٧١.
(١٩) الطريق الى جيكور: عبد الجبار داود البصري/ دار الشؤون الثقافية– بغداد/ ط١/ ٢٠٠٢م .
(٢٠) الشعر والتاريخ بين الواقعية والابداعية في قصيدة النهر والموت للسياب – دراسة في ضوء الرؤية التاريخية – فاطمة الزهرة قيراد / رسالة ماجستير / كلية الاداب / جامعة جيلاني بو نعامة / الجزائر / ٢٠١٧م .
(٢١) ينظر: الاسطورة في شعر السياب: د. عبد الرضا علي / ص ٩٧ . مصدر سابق .
(٢٢) ديوان السياب :ص٤٥٤ . مصدر سابق .
(٢٣) ديوان السياب : ص٤٥٤ .
(٢٤) المصدر نفسه : ٤٥٥ .
(٢٥) ينظر: حركية الابداع: د. خالدة سعيد: / ص٤١ . مصدر سابق .

(٢٦) الوطن في شعر السياب : د . كريم مهدي المسعودي : ص٧٨. مصدر سابق .
(٢٧) ديوان عروة بن الورد /دراسة وشرح وتحقيق : أسماء ابو بكر محمد : منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت / ١٩٩٨ م / ص٣٦٥ .
(٢٨) ديوان السياب : ص٤٥٦ . مصدر سابق .
(٢٩) ينظر: الاسطورة في شعر السياب: د. عبد الرضا علي: ص٩٩. مصدر سابق.